قلب الاخوان العليل

هذه مجموعة من المقالات التي اتفقت على نشرها مع جريدة "المصري اليوم"، وبالفعل تم نشر الحلقة الأولى وبعد قيام الثورة بأيام قليلة فوجئت بنشر الحلقة الثانية، فانزعجت للغاية من النشر، وطلبت وقف نشر بقية الحلقات؛ لأن الوقت وقت ثورة وليس وقت نقد أو اختلاف أو محاولات إصلاح لفصيل يشارك معنا في الثورة..

قلب الإخوان العليل ١

أعتقد أن من أهم الكتب التي صدرت وتناولت الشأن الإخواني في عام ٢٠١٠ كتابين؛ الأول كتاب "من الدعوة إلى التنظيم الخاص" للدكتور السيد عبد الستار المليجي، والثاني "قلب الإخوان" للأستاذ ثروت الخرباوي.. وأهمية هذه الكتب تتمثل فيما تحمله من وقائع وأحداث وقعت داخل الجماعة ومثبتة بالوثائق وبالأفراد وبالتواريخ، ولأن الكاتبين من نجوم العمل الإسلامي خلال العقود الأخيرة داخل الجماعة..

الكتاب الأول يدلّل دون مراوغة على اختلال في البوصلة الإخوانية خلال العقود الأخيرة، ووهم القنوات الشرعية التي يتحجّج بها البعض لتداول الرأي الآخر داخل الجماعة، وفيها يطرح الكتاب ثلاثة عشر من رسائل الإصلاح، والتي أرسلها الكاتب لمكتب الإرشاد من عام ١٩٩٨ وحتي عام ٢٠٠٨ وتحوي أمورا مهمة للغاية ومع الأسف لم يُلتفت إليها، بل احتفظ بعضهم بها في منزله حتى وقعت في أيدي الأجهزة الأمنية.

أما الكتاب الثاني فلقد نزف دماً بين يدي وأنا أقرأه من صدق كلماته

وتطابق وقائعه مع ما حدث معي في عملية التحقيق والإيقاف؛ فهو يقصُّ وقائع مؤسفة للتعامل مع الرأي المخالف داخل الجماعة، والتي وصلت لتحديد إقامة الكاتب.. ومطالبة آخر بتطليق زوجته؛ لأنها انتقدت المرشد! كذلك أحداث متعلقة بنقابة المحامين وهي وقائع متنوعة يجب فتح تحقيق فوري في شأنها ومحاسبة المخطئين بل والاعتذار وإعادة الاعتبار لمن جُهِل عليهم..

الأستاذ ثروت الخرباوي وضع لغزا على غلاف كتابه وهي صورته وهو يقرأ الفاتحة وخلفه قبر الأستاذ مصطفى مشهورا في حين أن الكتاب يُرجع لمشهور والهضيبي الابن تجاوزات حدثت داخل الجماعة، فاتصلت بالكاتب لأعرف قصة هذه الصورة، ففاجأني بأمر آخر مذهل لا يقل عن محتوى الكتاب، وهو أنه أراد أن يلفت الانتباه إلى أن مقبرة الإخوان بمدينة نصر والتي طلب المرشد الراحل عمر التلمساني من محافظ القاهرة وقتها تخصيصها للإخوان، وظلت تحمل اسمه لسنوات عديدة كانت مقصدا للزيارة لمئات الإخوان لسنوات قريبة حتى بعد دفن الأستاذ مصطفى مشهور فيها، إلا إن الأوامر صدرت برفع لافتة التلمساني واستبدالها بمشهور؛ ليعلن من فعل ذلك أن إقصاء جيل التوافق والانفتاح لن يكون في عالم الأحياء فقط بل في عالم الأموات أيضاً..

اتّفق الكاتبان على سيطرة مجموعة أطلقوا عليها "القُطبيّين" على مقاليد إدارة جماعة الإخوان وهياكلها.. لكني أختلف معهما في هذه التسمية؛ لأن الأحداث التي قصّوها بكثير من الصدق والألم لا يمكن أن تصدر من أتباع للأديب الكبير سيد قطب حتى ولو اختلفنا معه كثيراً في جاهلية المجتمع ومنطق الحاكمية؛ لأنه في النهاية كان فكراً له ما له وعليه ما عليه، وربما كانت مساحة التأويل فيه كبيرة، لكن ما يحدث الآن لا علاقة له بفكر أو أدب أو أي شيء،

فمن فعلوا ذلك هم مجموعة الانقلابيين الذين انقلبوا من فكر الإمام البنا إلى فكر التنظيم، حتى أصبح التنظيم دينا، فلو تعارض فكر قطب مع التنظيم لاختفى هو الآخر واختفت كتبه وآثاره! هؤلاء لا تجد لهم كتاباً تقرؤه أو منتجاً تناقشهم فيه، وكل ما طُبِع ونُشِر معلوم عندنا جيداً أنها ملازم جُمِعت من كتب مختلفة قام بها بعض الإخوان، ورفع اسم أحدهم عليها، وشهود النشر موجودون لمن يتصدّى للرد على كلامي..

لكن هؤلاء بكل أمانة يجيدون توضيح الرؤى وكيل الاتهامات للمخالفين، ولن أنسى ما حييت ما صرّح لي به أحدهم في بيته عندما دعاني لجلسة نصح خاصة، وقد خفض صوته قائلاً: "الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح يعمل بأجندة أمريكية"! هكذا! "حتة واحدة" قالها في حق رمز مصري إسلامي أصيل، وأكمل حواره معي وأنا في غاية الذهول! فما أعلمه يقيناً أن أبو الفتوح أجندته وطنية مصرية خالصة برائحة شارع الفجالة!

بعدما قرأت الكتابين قلت ما أقساه الصراع بين الصمت والبوح.. هل نصمت وننسحب كما فعل السابقون فلا يتبقى في جماعتنا إلا المتردّية والنطيحة وما أكل السبع.. اخترنا طريقا جديدا غير مسبوق ليس من أجل الترميم، ولكن من أجل بعث جديد يليق بالفكرة التي أطلقها الإمام المؤسس حسن البنا.. تحديات كبيرة تواجهنا، فأشد ظلمة الليل التي تسبق الفجر، وأكثر آلام المخاض التي تسبق قدوم الجديد.

هل نحن في حاجة لكثرة العناء والخلاف مع الأحباب أم إنها أمانة النصح والواجب تجاه جماعتنا..

لا بد أن نبدأ بالمصارحة ونقول لماذا كل هذا الخوف في مواجهة تيار إصلاحي داخل الجماعة أراد أن يعبّر عن نفسه، وكما يقول علماء الاجتماع

إن النقد وسيلة لإثارة العقل والفكر وتحريك الأفكار وتقليب وجهات النظر لتصبح أكثر نضجا وقوة، والفكرة الناضجة هي التي تكون الأصلح والأصوب وأكثر واقعية.

إننا نحفظ الكثير من النصوص التي تحضّ على النقد والتقييم والمراجعة، وإذا خطب أو وعظ أو كتب أحدنا عن ذلك فيبدع في التعبير لكن عندما يأتي وقت ترجمة ذلك على أرض الواقع نتهرب من خلال الأعذار والتبرير لأخطائنا؛ حيث لا نملك الجرأة والشجاعة على الاعتراف ومن ثم الإصلاح.

أنظر في مسيرة الإخوان في العشرين عاما الأخيرة، وفيها وقعت أخطاء لا ينكرها عاقل، وضاعت فرص كثيرة ومع الأسف لم نرّ عملية مراجعة واحدة أو اعتذارا أو حتى اعترافا بخطأ حتى ولو داخلياً! وبالتالي لن ننتظر اعتذارات لأحداث جسام سابقة عنها وقعت.. عندما نتحدث عن الأنظمة المستبدة لا نترك نقيصة إلا ونلصقها بهم، وكيف أنهم يمارسون الكبت وتكميم الأفواه والطعن والتشكيك بكل من ينتقد، لكننا -مع الأسف- كثيرا ما نستعير سياسة هذه الأنظمة في محاربة النقد والمحاسبة والمراجعة، وهو ما يطلق عليه عملية التماهي والتماثل، والشيء الوحيد الذي نختلف فيه عنهم أننا لا نملك سجونا ومعتقلات وكرابيج وزنازين!

لكننا نملك التخوين والاغتيال المعنوي والإقصاء من خلال تنزيل واستدعاء خاطئ لبعض النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة بحق المنتقدين.

نموذج المهندس حامد الدفراوي ماثل أمامي، والذي لولا مقالاته المهمة لما رأى الصف الإخواني اللائحة منشورة على مواقع الإنترنت، ولما انتبه الكثيرون لضرورة تغييرها وتعديلها..

لم يجدوا في سيرة الرجل ما يسيء، فقالوا عنه إنه بعيد عن الجماعة منذ

سنوات يعمل في الصحراء، فلا يحق له أن يتكلم أو ينتقد!

والذي لا يعرفه الكثير أن الدفراوي هو أول من كوّن لجنة الصناعات الصغيرة في نقابة المهندسين بالإسكندرية؛ لتكون نواة لمحاربة البطالة بين المهندسين في عملية حيوية لتفعيل دور النقابة، في حين انشغلت قيادات من الجماعة بإدخال معارض السلع المعمرة بل واحتكارها في النقابات، وهي وسيلة استهلاكية لم تفِد المهندسين بقدر ما استنفدت جيوبهم ومجهودهم.. وعندما فرضت الحراسة على النقابات اتّجه الدفراوي لتعمير الصحراء وإنشاء مشاريع زراعية وحيوانية، في حين اتجهت قيادات أخرى إلى نمط استهلاكي من نوع آخر، وبرعوا فيه وهو الاستثمار العقاري، وأيضاً لم نرَ لهم حتى يومنا هذا مشروعاً واحداً يداعب أحلام الشباب محدوي الدخل من إسكان يعينهم على العفة والزواج..

لم يجهد هؤلاء أنفسهم في عقد مقارنة بين الدفراوي الذي ظل داخل وطيس معركة النهضة والتنمية وبين كبار الإخوان الذين فرّوا خوفاً من الاعتقال أو بحثاً عن سعة الرزق في بداية الثمانينيات، فعادوا فوجدوا قيادة الجماعة محجوزة لهم، على الرغم أن جلّ جهادهم في الخليج كان جمع الأموال والانتظام في لقاءات الكبسة والثريد..!

وكما يقول علماء الأمة المنصفين ما زال مفهوم النقد في حياتنا مفهوما ضبابيا، وما زلنا نتعامل مع النقد بشكل هلامي، فكل جهة تفسّر النقد حسب وقعه وقوته ونوعيته عليها، فمن يقف ضد النقد فيعتبره تشهيرا وطعنا وشتما، ومن يتعامل معه بإيجابية يعتبره وسيلة نحو الإصلاح وكشف الأخطاء والعمل على تصويبها، وهذا يتطلب تعريف النقد حسب ما هو سائد بشكل عام وليس تعريفا خاصا حسب مزاج هذه الجهة أو تلك.

يقول الإمام الشهيد حسن البنا -رحمه الله تعالى- عن الركن الثاني من أركان التربية وهو التفاهم: "وحاسبوا أنفسكم حسابا دقيقا على الطاعة والمعصية ثم بعد ذلك لينصح كل منكم أخاه متى رأى فيه عيبا، وليقبل الأخ نصح أخيه بسرور وفرح، وليشكر له ذلك، وليحذر الناصح أن يتغير قلبه على أخيه المنصوح بمقدار شعرة".

مطلوب من كلٍّ منا أن يقوم بعملية مراجعة وتقييم ونقد لأقواله وأفعاله بين الحين والآخر، وتكون تلك المراجعة آكد بحق من تحمَّل أي نوع من المسئولية؛ فالأخير بعنقه أمانة وعليه أن يحملها بكل صدق، وأن يراجع نفسه ومواقفه وقراراته كل حين، بل الواجب على جماعة الإخوان أن تنشئ مؤسسة مستقلة مهمتها المتابعة والمراقبة والنقد والمراجعة والتقييم.

وأن يخضع الجميع الكبير والصغير والأمير والمأمور دون حرج ولا مجاملة في غير موضعها بلا استثناء للنقد والتقييم والمراجعة بشكل حر ونزيه وشفاف ودون تضايق وتذمر.

فلا كهنوت في الإخوان، فنقول نعم أخطأ المرشد السابق عاكف في عبارة "طز في مصر"، وأخطأ الدكتور بديع في استجداء الإفراج عن المعتقلين من مبارك الأب!

قلب الإخوان العليل ؟

أكره كثيراً لفظ "المحظورة"، ولكنني أتساءل هل أصبحنا كتيار إصلاحي داخل الإخوان محظورون داخل المحظورة! كلّي أسى وأسف وأنا أعقد مقارنة بين علاقة النظام وجماعة الإخوان من جهة وبين علاقة قيادات الإخوان وتيارنا الإصلاحي من جهة أخرى.

- النظام لا يريد أن يعترف بوجود الإخوان على الرغم من أنهم موجودون في الشارع وكان أعضاؤهم يمثلون ٢٠٪ من أعضاء البرلمان السابق، وينفي باستمرار شرعيتهم، وقيادتنا تنفي علناً وجودنا داخل الجماعة من أصله، رغم تواجدنا في جميع هياكل الجماعة وفي جميع المحافظات بل وخارج مصر، بينما في الخفاء يجري الآن التحقيق مع إخواننا الإصلاحيين في البحيرة وتخييرهم من التبرؤ من الأفكار الإصلاحية أو سيكون مصيرهم الفصل من الجماعة!

- النظام يطلق على الجماعة بعض الأقلام والأصوات التي جلّ همها نقد الإخوان صباح مساء، وقيادتنا تفعل نفس الشيء، بل تميّزت في ذلك حتى وصل الأمر إلى التشكيك في الذمم المالية.

- النظام تدير دفّته لجنة السياسات أو بمعنى أدق مجموعة منتقاة منهم، وتفرض سيطرتها على جميع أجهزة وكيانات الدولة، وقيادتنا تدير الجماعة بمكتب الإرشاد وبمجموعة أخرى على نفس النسق تماماً.

- النظام يحاصر أفراد الجماعة ويضيّق عليها ويمنع ظهورها إعلامياً في الفضائيات المصرية الرسمية التي يملكها والصحف القومية التي يديرها، وقيادتنا تمنع مقالاتنا بل وأخبارنا بل وتعليقاتنا في الموقع الرسمي الذي يمثلها.

- النظام يطارد أفراد الجماعة ويوقف أعضاءها ويؤمّم شركاتهم ويصادر أموالهم، وقيادتنا توقفنا (وأنا من ضحايا هذا الوقف لكن الحمد لله لم يصل للاعتقال بعد!)، وتطاردنا وتفرض علينا حصاراً على كل المستويات.. بل وتمنع إلقاء السلام أو ردّه على أعضاء حزب الوسط

- النظام يطلق على الجماعة "المحظورة" على خلاف الحقيقة، وقيادتنا تطلق علينا "المنشقّين المفتونين".

- النظام يكذب ويقول إن الإخوان لا وجود لهم في الشارع، وقيادتنا تتجمّل وتقول إنه لا وجود لنا في الجماعة.

- النظام لا يريد إعطاء الشرعية للإخوان فيمارسون دورهم بكل حرية داخل المجتمع تحت دعوى أن أجندتهم طائفية تثير الفتنة، وقيادتنا لا تريد أن تعترف بنا كتيار إصلاحي، وتنعتنا بأننا أصحاب أجندة هدامة.

- النظام يعمل أفراده ليل نهار للحفاظ على المنصب والكرسي دون اعتبار للوطن الأم، وقيادتنا وجّهت جهودها للحفاظ على التنظيم أولاً دون اعتبارات أخرى.

- النظـام طـوّع الدين وبعض العلماء في خدمـة أهدافه يستدعيهم حينما تضيـق به الأمـور، وقيادتنا تحتفي بفتوي أحـد أعضائهـا أن الانتخابات مثل الجهاد الأكبر، ومقاطعتها مثل التولي يوم الزحف.

- النظـام انشغل بالملف الأمني داخل الوطن عـن تطوير الصحة والتعليم والثقافـة، وقيادتنا انشغلت بالحفـاظ على التنظيم وبالجانـب السياسي عن تطوير الجانب التربوي واتساع رقعته.

- النظام يشغلنا بمعارك وهمية كثيرة لننسى قضايا الوطن الحقيقية من فقر وفساد وتوريث، وقيادتنا تشغلنا بالانتخابات الوهمية عديمة الجدوى.

وأظهرت الأيام والتجارب صدق حدسنا أن النظام يستعملنا كفزاعة للغرب ومبرر لاستبداده، في حين يجعل الإخوان كخصم افتراضي يسيطر جيداً على مساحة تحركه هشاً ضعيفاً، بحيث تكون محاولة خنق ما تبقى فيه من أنفاس سهلة يسيرة في الوقت المناسب..

ورأينا بأعيننا عندما أراد النظام غلق جميع المواقع الإخوانية صبيحة يوم الانتخابات البرلمانية الأخيرة فعلها بمنتهى السهولة، وعندما تم له ما أراد من غلق مجلس الشعب في وجوه الإخوان أعادها مرة أخرى! لأنه يرى أهمية وجودها للجماعة!

وحتى يفيق الإخوان على واقعهم المؤلم أقول لهم: "تأثيركم أصبح ضعيفاً بعدما أديتم ما أراده النظام".. انظروا إلى:

(١) حصر رأس الجماعة في مقر وحيد بالمنيل مراقب على مدار الساعة، وينقل ما يحدث فيه مباشرة للجهات الأمنية المختلفة.

(٢) عدم رفع لافتة واحدة في برّ مصر كله تحمل كلمة الإخوان المسلمين

حتى مقر الكتلة بالإسكندرية تم رفع اللافتة من عليه، والجماعة كان لديها تسعة نواب وأصبح دون اسم، وتم غلق مقر الجماعة بمحطة الرمل بعد أيام من افتتاحه.

(٣) القضاء النسبي على تواجد الإخوان الفعال داخل الجامعة سواء على مستوى الاتحادات أو على مستوى الأنشطة.

(٤) ضرب تواجد الإخوان داخل النقابات والجمعيات، بل وامتد الأمر إلى تأميم غالبية المساجد التي يوجد فيها الإخوان لصالح الأوقاف.

(٥) تقزيم وتحجيم تحرّك الإخوان في الشارع بمناهضة تحركاتهم في مجال التكافل والبر، والتضييق عليهم في القوافل الطبية، وتفتيت صلوات العيد ومصادرة أنشطتهم، ومنها على سبيل المثل جلود الأضاحي والتبرعات التي يتم جمعها... إلخ.

(٦) محاصرة نواب الجماعة الـ٨٨ السابقين داخل البرلمان بالتضييق عليهم في طرح الاستجوابات وطلبات الإحاطة وغيرها من أدوات المساءلة البرلمانية، ووأد أي تحرك فعّال لهم على الأرض.

(٧) إلغاء فعاليات الإخوان الكبرى، ومنها إفطار الإخوان وتواصلهم السنوي وشبه الرسمي مع كل التيارات الأخرى.

(٨) ضرب مشاريع الإخوان الاقتصادية سواء التي تملكها الجماعة أو الأفراد.

في حين ساعد الإخوان النظام المصري وقدّموا له خدمة مجانية عن طريق:

(١) الوقوف دائماً في جانب ردة الفعل، بل والسير دون وعي في المعارك

الجانبية التي يفرضها النظام، حتى ولو كانت على حساب الانحراف عن الطريق المخطط له، مما طغى فيه الجانب السياسي على الجانب الدعوي، واستنفد طاقات الإخوان.

(٢) إصرار الإخوان على السير والتحرك بثقافة القبيلة وككتلة جماعية أفقد الجماعة المناورة والذاتية والمقدرة على التمدد والتوغل والانتشار، والتي أعتقد أنها تكون كفيلة بإرباك النظام.

(٣) استسلام لوضع الحراسة على العديد من النقابات والذي اغتال دورا فعالا ومنبرا رئيسيا لهم، كذلك عدم الاضطلاع بأي دور نضالي حقيقي لاستعادتها، اللهم إلا المشاركة في كيان مهندسين ضد الحراسة.

(٤) عدم تصدّي نوابهم في مجلس الشعب لهزلة التعديلات الدستورية وتسجيل موقف تاريخي يليق بالحدث، مثل استقالة جماعية يسطرها لهم التاريخ.

(٥) طغيان الجانب السياسي والاهتمام به على الجانب الدعوي والتربوي أفقدهم جاذبية الجماعة الدعوية، وهنا كان التمدد لصالح التيار السلفي الذي حقق مكاسب عديدة بتراجع الإخوان تظهر في تنوع منابرهم الإعلامية وقوتها، وانتشار المظهر السلفي بين الجمهور.

(٦) عدم اهتمام الجماعة بتفعيل دور المرأة داخل هياكلها أفقدها ميزة كبيرة تمتاز بها عن الجماعات الأخرى التي ترى المرأة كلها عورة، بل وأفقدها طاقات وجاهزية كبيرة يمكن المناورة بها وإحداث نتائج مذهلة.

(٧) تأخُّر الجماعة دائماً في التفاعل مع الفعاليات المهمة للقوى المختلفة، وخير مثال على ذلك عدم المشاركة في إضراب ٦ إبريل.

(٨) عدم اهتمام الجماعة بتطوير لوائحها الداخلية وتخلُف طريقة الانتخابات فيها، فأصبحت عمليات التصعيد تتم بطريقة الفرز في المقدرة على التنفيذ ومقدار الثقة والطاعة وليست في الكفاءة والإبداع.

(٩) خـوف الإخـوان في الاشتباك بصورة قوية مـع آلام النـاس ومطالبهم تحـت دعوى أنهم لا يتحمّلـون آثار وتبعات غضبة الشـارع أفقدهم الكثير من المصداقيـة؛ فرجـل الشارع لا يفهم لمـاذا الاهتمام بقضايـا فلسطين والعراق وغيرها، والبعد عن مشاكل الغلاء ورغيف العيش والفسـاد.

(١٠) عدم تطوير مناهج بناء الشخصية الإخوانية والتي أزعم بأنها وصلت لأدنى مستوياتها.. فهي غائبة عن حاضرها وواقعها جاهلة بتاريخها..

(١١) التضييق على أصحاب الرؤى والأفكار الإبداعية والإصلاحية داخل الجماعة، مما أفقد الجماعة مئات منهم فضّلوا النزوح بعيداً عن كيان لا يقبل أن يتغيّر أو يتطوّر.

بعد هذا الاستعراض السريع يمكن أن أقول إن الواقع الذي تحياه الجماعة واقع غير مُرْضٍ، بل أعتبره خطأ يُرتكب في حق آلاف الشباب والفتيات والرجال والنســاء من جمهور الإخوان الذين يمتــازون بأخلاقهم العليا وروحهم الوثابة في خدمة الوطن والإســلام، واستعدادهم الكبير في بذل الغالي والرخيص في سبيل ذلك، وذلك بهدر مجهود هذا التيار المتدفق..

لا بد من المصارحة وليس التغطية والتورية في علاج المشكلة، وأهم نقطة في علاج أي أزمة هي الشفافية والاعتراف بأن هناك أزمة..

وتوجيه المجهود الذي يبذل في توضيح الرؤيا للصف الإخواني بأن الأوضاع والحال على أحسن ما يرام إلى بحث وسائل العلاج ومعالجة أسباب الضعف والتآكل.

قلب الإخوان العليل ٣

لا يمنعني انتمائي لجماعة الإخوان -والذي يحاول بعض من يخشى فتح النوافذ من سلبي إياه- بأن أقول إن العقول المتفتحة والواعية بدأت بالفعل حالة أشبه بحالة العصيان المدني داخل الجماعة تتمثل في انسحابها من كثير من أنشطة الجماعة؛ لأنها أحسّت بأنها لا تفرق كثيرا الاشتراك من عدمه.. وأتمنى أن يصدر لنا قسم التنمية الإدارية ولجان الخطط والمتابعات بالجماعة نسب التوظيف الفعلي للأفراد داخل أقسام الجماعة، وسنجد فيها تدنّي نسبها في مؤشر خطير.

بل وتداعي أقسام المهنيين وما تبعه إغفالهم التفاعل مع تجميد النقابات كما أسلفت، وتدهور قسم التربية وقلة محصول الوافدين الجدد، ومن يتم استقطابهم داخل الجماعة؛ لعدم وجود الشخصية المدرَّبة الجذابة التي تؤلّف وتأسر القلوب، ناهيكم عن ضعف الاهتمام بالجانب التربوي والديني، ويظهر هذا جلياً في عدم وجود كوادر وخطباء، وكذلك ندرة حُفّاظ القرآن الكريم.. لذلك نجد شباب الإخوان في المساجد التي يصلّون فيها يؤمّون الناس في

تراويح رمضان وهم يقرؤون من المصاحف، في بدعة يمتلك الإخوان حقوق الملكية فيها ومسجّلة باسمهم!

وأين قسم الجامعة وقد كانت جامعات مصر من الإسكندرية حتى أسوان يصدح فيها صوت الإخوان بلا منازع؟ بل أين رموز الإخوان ودعاة الإخوان الجدد، ولا أزايد أن أقول إن الجماعة قد عقمت في تصدير مجموعة غير جيل السبعينيات بل -مع الأسف- برز غالبيتهم بعد خروجهم من الإخوان، ولو استمر الداعية النابه عمرو خالد بالإخوان لكان ما زال يُلقي خاطرة في درس يحضره عشرات من شباب الإخوان في إحدى الزوايا.. والذي لا يعرفه الكثير وأذيعه لأول مرة أن مسئول الأسرة الإخوانية التي كان يوجد فيها الأستاذ عمرو خالد كان يشكو من عدم انضباطه وعدم التزامه بتعليمات الجماعة والمسئول موجود حي يُرزق!

ورغم الرسالة المؤلمة التي أرسلتها الدكتورة رشا أحمد منذ ثلاث سنوات للأستاذ مهدي عاكف، وهي تصرخ من القلب من تهميش دور المرأة داخل الجماعة فإن الحال -مع الأسف- لم يبقَ كما هو، بل تراجع أكثر، وأعيد فقرة من رسالتها والتي جاء فيها نصّاً:

- "توظيفنا الدعوي يكون مقتصرا على بعض اللجان الخاصة بالاخوات، وهناك بعض اللجان غير مسموح الاقتراب منها؛ مثلا اللجنة السياسية أو اللجنة الإعلامية، رغم وجود عدد كبير من بنات الدعوة وسيداتها تخصصهن الحياتي هو هذه المجالات، وبلغ الكثير منهن أعلى الدرجات العلمية، ومنهن من يعملن بهيئات التدريس المختلفة، ومع ذلك لا يتم الاستفادة منهن بأي شكل رغم رغبتهن في ذلك، ورغم أنهن بمشاركتهن لإخوانهم في هذه المجالات سيصنعن طفرة للدعوة نحن بحاجة إليها هذه الأيام" .

- "إذا كان الأخوات يقمن بأدوار صعبة يقوم بها الرجال، فلماذا لا تتم معاملة المرأة كالرجل داخل الجماعة في حقهن في اختيار مسئولي الجماعة، ولماذا الانتخابات الداخلية مقتصرة على الرجال؟ ألم يبايع الرسول عليه السلام بيعة النساء؟ ألم يستمع لخطيبة النساء؟ إذا كان اختيار مسئول الشعبة أو المنطقة أو المكتب الإداري يؤثر على عملي الدعوي وصورته وأسلوبه داخل الجماعة، فلماذا لا يكون لنا حق او دور في اختياره؟".

- "هناك حالة من التغييب الفكري للأخوات داخل الصف، والتوعية السياسية والفكرية تعطى بجرعات قليلة جدا، وقلّ أن تجد أختا تتفهّم الشأن العام بتفاصيله والظروف والمتغيرات إلا بجهد شخصي منها".

وتختم الدكتورة رشا بتبريرها للصراخ عالياً بعيداً عن القنوات الشرعية قائلة:

"أرجو ألا يسأل أحد لماذا لم ترسلي هذه الرسالة عبر المسارات الداخلية الرسمية، فأقول إنني أرسلتها أكثر من مرة، ولكن يبدو أن الحمام الزاجل لم يعد يقوم بدوره كما ينبغي، وأرجو أيضا ألا يعترض أحد على نشري هذه الرسالة، ويتهمني بالخروج عن العرف أو حتى يصل لتكفيري كما حدث لإخوان لي يكتبون عن النقد الذاتي، إن جماعتنا هي جماعة لكل المصريين، ونقاشنا الموضوعي وصراحتنا يشرفنا كجماعة ديمقراطية لا يتم قمع الآراء فيها".

وأنا أتساءل إلى أين يتجه الإخوان؟ والي متى سيظلون يتحركون في المنطقة الرمادية منفصلين عن الواقع؟ في حين تطلق الجماعة الرصاص على قدميها بإهمال برنامج الحزب وعدم تطوير اللائحة الذي دخل عامه السادس في البحث والنقاش!

حان الوقت للجمهور الإخواني أن يفيق، وأن يخلع ثوب السلبية الذي أطاح به وأضعف جماعته، ويتقدّم ويتحرك معنا نحو إخوان مجددين أو إخوان إصلاحيين ينقلون الجماعة نقلة نوعية تستحقها..

فلو ظل أبطال تركيا رجب طيب أردوغان وداود أوغلوا وعبد الله جول في القاهرة في انتظار وساطة المرشد الراحل مصطفى مشهور في منتصف تسعينيات القرن الماضي لحلّ خلافهم مع نجم الدين أربكان لما تغيّر وجه تركيا وما حدث ما نراه الآن.. فالحمد لله أن المرشد الراحل رفض مقابلتهم، وقال لهم اذهبوا وتصالحوا مع أربكان أولاً..

وعندها كانت الانطلاقة ومضوا في مشروعهم وطريقهم بعيداً..

والآن من يفعلها الآن.. ولنكن صرحاء مع أنفسنا فهي ليست دعوة للانشقاق، وانما دعوة لجماعة واحدة ورؤى متعددة؛ فالواقع الآن أصبح يستحيل معه الإصلاح بأسلوب الترقيع والتجميل..

لذا نريد بعثا جديدا للإخوان في شكل توافقي يجمع ولا يختلف.. يتميز ولا يذوب، يحقق نتائج ننتظرها من ثمانية عقود، تعالوا نتخيل الإخوان وكما تمنّاهم الدكتور عصام العريان في لحظة شجاعة في مقاله النادر "الآثار الجانبية للحملة البوليسية على الإخوان": عندما كتب عن: "ضرورة البعد عن المركزية التنظيمية الشديدة مما يقلل حاجة الإخوان إلى الأبنية التنظيمية المعقدة والمتشابكة، واعتماد أسلوب إداري جديد يقلّل حجم اللقاءات المركزية والوسطية، وإطلاق جهود الأفراد في العمل والنشاط والإبداع والتجديد والاجتهاد، وعدم تقييدهم بقيود منهجية صارمة أو قيود إدارية مكبلة أو قيود تنظيمية معوقة، والدفع بالكفاءات الدعوية بعيداً عن الالتزام التنظيمي، بل التقليل من وجودهم التنظيمي ورعايتهم بصورة منفردة بعيداً عن الهياكل

التي قد تتسبب في إعاقتهم بسبب الملاحقات".

وإطلاق حرية المواهب السياسية والبرلمانية للاحتكاك المباشر بالتيارات الفكرية والسياسية بعيداً عن تمثيل الجماعة أو التحدث باسمها، وتشجيع الكفاءات البحثية في العلوم الاجتماعية والسياسية وإعطائهم إجازة مفتوحة من العمل التنظيمي حتى يصقلوا موهبتهم ويستكملوا بحوثهم مع متابعة عن بُعد وبصورة منفردة، ويمكن تخصيص مِنَح مالية دراسية لهم مع كفالة استقلالهم العلمي".

لو تم تطبيق ١٠٪ مما طرحه العريان لكان الإخوان في كل مكان في كل مؤسسة وجمعية وفعالية وحركة وتظاهرة.. بدلا من عبء تحمّل الإخوان لتحركهم..

لا سامح الله من حرم مصر من نشاط يدبُّ في كل مكان..

فهذا حزب يشارك فيه الإخوان، وهنا جمعية نسائية تطرح رؤية معتبرة للمرأة، وهنا مشاركة ذاتية عفوية في تظاهرة تطالب بالحريات، وأخرى ضد الفساد، وأخرى ضد الغلاء، وأخرى لاستقلال القضاة، وأخرى من أجل فلسطين...

يا إخوان.. لقد تطوّر الجميع وتأخرنا نحن، والإحساس نعمة، ومن يراهن على الزمن يفقد الإحساس، ومن يفقد الإحساس مصيره الفناء.

يا سادة الإخوان.. الفكرة ملك الجميع والتنظيم ملكنا كإخوان كشركاء وليس كأتباع ومريدين.. !!

وأجدني أتوجّه بكلمة لقيادة الجماعة وأقول لهم: "كفاكم إقصاء وترويعا للمخالفين داخل الصف"، وأتعجب من أحدهم عندما كتب مقالاً يدعوننا

لكلمــة سواء، وهو من كتب منذ عــدة أشهر مقالا إعتبره البعض أسوأ مقال في تاريخ الجماعة، فقال عنا أننا أصحاب هوى مدمر ومثيري فتنة، ومعاول هدم في أيدي آخرين، بل وأمعن القيادي الكبير الذي يتلبّس الآن لباس الحكمة دون أن يعتــذر عما قاله من شهور، واصفاً غضبتنــا عما حدث من تجاوزات داخل الجماعة بأنها شهوة الكلام وحب الثرثرة والظهور في الإعلام.. !

وأقول له لا تزايد على إخوانك.. وليعرف الجميع أن الموضوع أزمة شفافية وحرية وليست شهوة أو هوى.. واسأل زميلك في مكتب الإرشاد المسئول على الإشراف على الموقع الرئيسي والذي يمنع المقالات التي تحتوي وجهات نظر مخالفة، بل ويحذف التعليقات المخالفة، ومقال الشيخ عصام تليمة رداً على الدكتور عبد الرحمن البر، ومقال المهندس خالد داوود رداً على مقالك خير دليل على ما نقول.

افتحوا المواقع الإخوانية للرأي الآخر داخل الجماعة، وأنا أتعهّد لك بأنك لن ترى لنا حرفاً مطبوعاً على الصحف أو على مواقع الإنترنت..

بل ويا للأسف أفرد الإعلام الإخواني الموجّه صفحات المواقع لمن كتب عن ضغوط الاستبداد، والذي اتهمنا بأننا متخاذلون، ونطالب بمقاطعة الانتخابات؛ لأننا خائفون من التنكيل والاعتقالات!

ولم نسمع له نفَساً عندما تعرَّضت الجماعة بأكملها لضغوط التزوير، وانسحبت متأخراً بعدما دفعت ثمنا باهظا في بضاعة لا تستحق..

ورغم كل ما حدث من خلاف مؤسف استبيحت فيه أخوّتنا ومحبتنا نقول اليوم لقيادة الجماعة:

تعالوا نتّفق في جزء مشترك من أجل مصلحة جماعتنا، وليكن لنا في

رسول الله أسوة حسنة، ولننظر في سيرة جماعتنا وفي مسيرة المرشد الراحل عمر التلمساني الذي تولى قيادة الجماعة ١٣ عاما متواصلين لم يخرج فيها فرد واحد من الجماعة، أو تم اتّخاذ إجراء بوقف أو فصل أي فرد، بل كبرت وتمدّدت وتوسّعت الجماعة وانتشرت؛ لأن كل الآراء كانت تُحترم وتوظّف كتوزيع للأدوار في توافق واستيعاب مذهل.

نمدُّ أيدينا إليكم بصدق في حوار متكافئ، وكفاكم من الحديث الذي بدأ يملّه الكثيرون عن الطبول التي دُقّت على الرؤوس، وأن الفشل هو حليفنا.. وأننا متساقطون على طريق الدعوة، وأن الدعوة تنفي خبثها، والدعاء بالثبات والخشية من الوقوع في الفتنة التي وقعنا فيها! فالأمر اختلف الآن.. وأصبح السفر لأراضي الحجاز بالطائرات بدلا من الناقة والجمل...! وأصبحت الرسائل تصل للآلاف بلمسة زر واحدة!

تعالوا نعلي قدرتنا على إدارة حوار داخلي صحّي في ظل وجود أطر وآليات صحيحة؛ لأن ذلك هو الخطوة الاولى في قبول المجتمع للحوار معنا؛ لأننا نكون قد قدّمنا النموذج لفوائد الحوار والقدرة على التطوير من خلاله.

ندعوكم بقلوب مفتوحة لمؤتمرنا القادم لاستكمال المسيرة من التطوير والاجتهاد، والدفع للأمام؛ لنخرج بلائحة معتبرة تليق بجماعتنا.. ربما لا نستطيع أن نعقده بالشكل الذى نريد، ولكننا سنحاول، ربما لا يستطيع جميع إخواننا الحضور والإدلاء بما عندهم من أفكار وآراء، ولكننا سنسعى جاهدين لتحقيق الحد الأدنى من التواصل، مستفيدين بالتطور التكنولوجي في مجال الاتصالات، وحسبنا ألا يذكر الحاضرون الغائبين إلا بكل خير، وألا يظن الغائبون بالحاضرين إلا كل خير.

نمدّ أيدينا وقلوبنا فهل تلتقون معنا أم تقولون فراق بيننا وبينكم؟

قلب الإخوان العليل ٤

الإخوان الإصلاحيون ينادون على قيادة الجماعة..

هل من الأمانة أن نذكر السلبيات ونغضّ الطرف عن الإيجابيات، فالكثير يتفق على أن جماعة الإخوان المسلمين كفكرة وكمشروع إسلامي حضاري وضعه الإمام حسن البنا بصورة عبقرية ينهض بالأمة، وأنه اجتذب بالفعل الآلاف من الرجال والشباب الشرفاء والنساء والفتيات الفضليات المحبين لدينهم، وحافظت عليهم، والذين يتمنون بذل أرواحهم رخيصة في سبيل الله، ولا يستطيع أحد أن يزايد على تضحيات الإخوان ليس في مصر بل في كثير من الدول وما نراه في مصرنا الحبيبة خير دليل وبرهان على أن المعتقلات تزخر برجال من الإخوان أصروا على قول الحق ودفعوا ثمن ذلك..

والإخوان أياديهم بيضاء؛ فهم من الأوائل الذين اهتمّوا بمشاريع كفالة الأيتام في مصر عن طريق أقسام البر، والتي قدّمت الكثير للفقراء والمحتاجين، ولم نسمع يوماً عن نائب من نواب الإخوان السابقين في البرلمان أنه كان نائب قروض أو أراضٍ أو تأشيرات (أول من ابتدع عمل قرعة على

تأشيرات الحج كان نواب الإخوان) أو نواب أكياس دم مسرطن أو عبَّارات خربة أو حتى نواب آداب، ويكفي الإخوان شرفاً أنهم تحمَّلوا عبء تقديم فكرة الإسلام الوسطي عندما غاب الأزهر، فحموا الكثيرين من الوقوع في براثن التطرف والتشدد.

ومـا حملني لكتابة هـذه السلسلة من المقالات هو أن الجماعة بها وفرة من الأفراد والمجهود المنظم، ولكن يقابله غياب الاستراتيجية واللوائح التي تحفظ سلامـة العمل وتفرز الأفضل ليقـود ويغيِّر، ويكون جديـرا أن يأخذ القرارات الصائبـة الشجاعة التي تنحـاز للأمة وللتنمية والنهضـة، ولا تنحاز لجماعة ولا تنظيـم؛ فلقـد تطوَّر الجميـع وتأخرنا نحن والإحساس نعمـة، ومن يراهن علـى الزمن يفقـد الإحساس ومن يفقـد الإحساس مصيره الفنـاء، وأجدني أتوجه لقيادة الجماعة وأقول لهم: فلتستوعبوا الجميع وكفاكم إقصاءً وترويعا للمخالفين داخل الصف.

ندعوكم بقلوب مفتوحة للحوار من أجل التطوير والاجتهاد والدفع للأمام؛ لنخرج بمشروع تطوير لجماعتنا نحسم فيه أمورا كثيرة معلَّقة من زمن، ولا أجد ما أختم به هذه السلسلة من المقالات إلا بكلمات الشيخ الغزالي -رحمه الله- عندما قال: "إن الانتقاد الصحيح لما وقع المرء فيه من أخطاء أو الاستدراك على ما فاته من كمال يجب أن نقبله على العين والرأس.. ولو كان النقَّاد مدخولي النية سيئي القصد. فسوء نيتهم عليهم وحدهم، وخير لنا أن ننتفع بما أجراه القدر على ألسنتهم من تصويب، والعاقل يتسمَّع ما يقوله خصومه عنه، وإن كان باطلا أهمله ولم يأسَ له.. وإن كان غير ذلك تروَّى في طريق الإفادة منه؛ فإن خصوم الإنسان يفتِّشون بدقة في مسالكه، وقد يقفون على ما نغفل نحن عنه من أمسِّ شئوننا، وقديما قالوا: رحم الله امرأً أهـ...

إليّ عيوبي، فمن أهدى إلينا عيوبنا قبلنا هديّته في الحال، ثم سارعنا إلى إصلاح ما بطن وما ظهر من نفوسنا؛ حتى لا يبقى مجال لشانئ أو فرصة لناهز..

يا سادة.. الغزالي يتكلم عن الخصوم ولسنا كذلك، بل إخوان لكم نمدُّ أيدينا وقلوبنا فهل تلتقون معنا؟